

آداب الأسيف في الدين والأعراف

أستاذ مشارك قسم الأدب والنقد والبلاغة
كلية اللغة العربية-جامعة القرآن الكريم
والعلوم الإسلامية

د. صديق عبد الرحمن إبراهيم موسى

المستخلص

تناول البحث آداب السيف في الدين والأعراف. ويهدف البحث إلى بيان آداب السيف ومكانته في تاريخ الأمم السالفة قبل أن تعطل أهميته السيادية تطورات العلم الحديث عبر التقنيات الحديثة، بعد أن كان رائدا يعبر عن كبرياء الإنسانية وأمجاد البشرية، ويعد السيف رمزا استثنائيا لعزائم الإسلام ونصرا للدين الحنيف، وفخرا للأجيال لما سطره من معاني العزة والكرامة، وتأتي أهمية البحث للاهتمام الكبير الذي وجده السيف في أوساط الأدبين العربي والإسلامي، وما أولاه الأدباء من الكتاب والشعراء للسيف من اهتمام في الشعر والنثر، وما حمله الإسلام من تلك المعاني في الدين الحنيف، وما عولت عليه الأمم الأخرى من منافع السيف المتعدية. انتهج البحث المنهج الاستقرائي والوصفي التحليلي. خلّص البحث في خاتمته لعدة نتائج منها: السيف ركن التسليح، وشعار الإسلام، وعراقة الأمجاد، وأصالة العدالة، ورمز الكرامة، للسيف دور مفصلي في حامية الشريعة ورعاية المجتمع وصون الأعراف والمصالح الإنسانية، تعددت آداب السيف في الشعر والنثر وجاءت بمعاني الفخر والمجد والثراء والهجاء والغزل. وأوصى البحث بعدد من التوصيات، مثل: الوقوف على آداب السيف لمعرفة دوره التاريخي في بناء الأمم، واعتماد السيف في تنفيذ أحكام الإعدام إذ لا يشعر المقتول بالألم بعد قطع النخاع الشوكي.

كلمات مفتاحية: الأدب والشعر، الدين الإسلامي، التقاليد والأعراف، التقنيات الحديثة.

The sword literature in religion and custom

Dr. Siddiq Abdel Rahman Ibrahim Musa/ Co-professor

Abstract

The research dealt with the etiquette of the sword in religion and customs. The research aims to explain the etiquette of the sword and its place in the history of the past nations before its sovereign importance disrupted the developments of modern science through modern technologies, after it was a pioneer expressing the pride of humanity and the glories of mankind. Pride and dignity, and the importance of the research comes to the great interest that the sword found in the circles of Arab and Islamic literature, and the interest that writers and poets gave to the sword in poetry and prose, and what Islam carried those meanings in the true religion, and what other nations relied on from the

transgressive benefits of the sword. The research adopted the inductive and descriptive analytical method. In its conclusion, the research concluded with several results, including: the sword is the cornerstone of armament, the emblem of Islam, the nobility of glories, the authenticity of justice, and the symbol of dignity. . The research recommended a number of recommendations, such as: standing on the etiquette of the sword to know its historical role in building nations, and adopting the sword in the implementation of death sentences, as the victim does not feel pain after cutting the spinal cord. **Keywords:** literature and poetry, Islamic religion, traditions and customs, modern technologies.

المقدمة:

للأسياف مجد عريق يعد من مسلمات التاريخ، فلا يدور حديث عن سيرة من سير الأمم السالفة إلا وكان السيف ركنا في صناعة ذلك التاريخ وعماد تلك الأمجاد، فهو رمز العدالة والكرامة وشعار السلام، وعماد الإسلام، وحلية الأمن وصمام أمان الاستقرار، كان السيف يشكل الركن الأهم من عتاد التسليح، ولعب دورا كبيرا في بناء الدولة وإعمار الأرض وتنمية البشرية، وذلك، بتأمين الطرقات وإقامة الصلوات ورد المظالم وحماية السلطان، ورمزية السيف قاسم مشترك بين جميع الأمم والمجتمعات البشرية، فلا قوة ولا عز للحكم إلا به، ولذلك كانت وزارة السيف وهي وزارة الحرب والدفاع وحفظ حدود الدولة، فالحياة لا تستقيم إلا بإعمال السيف للحفاظ على التوازن الاجتماعي بالقسط، والسيف تبعاً لهوى السلطان إما للعدل أو للجور، وقد اتخذته بعض الدول رمزا لحريتها ووطنيتها فجعلته علما فوق سمائها، فكان السيف راعيا لمرامي الإنسانية وداعما لأهداف الأعراف البشرية، وذلك لصون مقاصد الشريعة الإسلامية، وظل السيف محل الاهتمام الرسمي والشعبي، واشتهرت دول ومدن بصناعة السيوف وجعلته حلية السلطان والفرسان، ومع ذلك بات السيف سلاحا ذو حدين في الحقيقة والمجاز، لاستعمال حديه معا في الحق والباطل، ولمضاء السيف وسطوته نال إعجاب الأدباء والكتاب فاستخدموه في معاني البيان من المجازات والاستعارات والتشبيهات، وحفلت كتب الأدب عبر التاريخ بتلك المعاني البلاغية التي سطرها الشعر العربي وخاصة في العصر الجاهلي وتقاليده، وفي عصر الإسلام ازداد الاعتناء بالسيف مع زيادة الاهتمام بالحق وحملت النقول تلك الآثار ومعانيها من القرآن الكريم والسنة النبوية والسيرة، ولم يأت لفظ السيف تصريحا في القرآن الكريم ولكن جاءت معانيه ومقاصده في آيات الذكر الحكيم، ولقد جاء ذكر السيف في السنة والسيرة تصريحا، وفي هذا البحث نقف عند تلك المعاني التاريخية..

السيف في الشعر العربي:

السيف واحد من أكثر المعاني التي ألهمت الشعراء لاستخدام مدلولاته في الشعر العربي، وخاصة البيان الذي ولعت به العرب فجعلت فنونه من المجازات والاستعارات والتشبيهات مجالا

تطبيقاً لل سيف ومترادفاتة ومعانيه في المواقف المختلفة وقد ضاقت قوافي الشعر بتلك المعاني، وأول ما نقف عنده في هذا الجانب العصر الجاهلي بقيمه وتقاليده وأعرافه ومعتقداته، وهذه الحقبة من أكثر العصور اعتزازاً بالسيف، ووصلنا منها أقوى الأشعار العربية، ونقف أولاً مع أحد أصحاب المعلقات وهو عنتر بن شداد العبسي عند قوله:

يدعون عنتر والسيوف كأنها	برق تلاً في سحاب مظلم
يدعون عنتر والدروع كأنها	حدق الضفادع في غدير نجم
يدعون عنتر والنبال كأنها	طش الجراد على المنادح حوم
يدعون عنتر والرماح تنوشني	عادات قومي في الزمان الأول
يَدْعُونَ عَنَتْرَ، وَالرَّمَا حُ كَأَنَّهَا	أَشْطَانُ بِئْرٍ فِي لَبَانِ الْأَدْهَمِ
كَيْفَ التَّقْدَمُ وَالسَّيْوُفُ كَأَنَّهَا	غَوْغَا جَرَادٍ فِي كَثِيبٍ أَهْيَمِ
وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالرَّمَا حُ نَوَاهِلُ،	مِنِّي وَبَيْضُ الْهِنْدِ تَقْطُرُ مِنْ دَمِي
فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السَّيْوُفِ لِأَنَّهَا	لَمَعَتْ كِبَارِقٍ تُغْرِكُ الْمُتَبَسِّمَ ⁽¹⁾

في هذه الأبيات العصماء ذكر الشاعر عنتره معاني السيف وقوته تاركا وراءه ذكرى ما زالت الأجيال تتمثل بقوتها ورسالتها، فنجدته يقول في البيت الأول: يدعون عنتره والسيوف كأنها برق تلاً في سحاب مظلم، فالشاعر يجذب الأسماع بهذا التشبيه القوي الذي أختاره للسيف وهو محل العزة والكرامة عند الفرسان العرب ومنهم الفارس العربي عنتره بن شداد، ثم يتناول الدروع ويشبهها بالضفادع والرماح ويشبهها بالجراد، ويقول إن كل ذلك من عادات قومه الأوائل وتقاليدهم وأعرافهم، ثم يقول كيف التقدم والسيوف كأنها غوغا جراد في كثيب أهيم، نجد الشاعر يشبه السيوف بأصوات أجنحة الجراد المتطاير ويصف تصفيق أجنحته غير المتناسق بحركة ضراب السيوف في حومة الموت وعرصات الحرب، فأختار الشاعر صورة السيوف أثناء القتال وهي تضرب بعضها بعضاً، ليقابل بها صورة الجراد المنتشر وهو يصادم بعضها بعضاً بأجنحته، وهذه لوحة جمالية من أجمل صور التشبيه في البيان العربي، ثم يعرض الشاعر للسيوف في البيت قبل الأخير في الشطر الثاني بقوله: وببيض الهند تقطر من دمي، وببيض الهند هي السيوف المصنوعة هناك، ونجد الشاعر ذكر في الشطر الأول من هذا البيت قولاً هو من دواعي الفروسية، وهو تذكر المحبوبة عندما قال وقد ذكرتكم الرماح نواهل مني أي منهمرة منه، وهذا من دواعي الفروسية لأن تذكر المحبوبة في مثل هذا الموقف يعد وعداً بالقضاء على العدو والعودة بالنصر إلى المحبوبة التي تكون عادة مشفقة على الحبيب في مثل هذه المواقف، ولذلك ذكر الشاعر في البيت الأخير قوله: فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق تغرك المتبسم، جاء الشاعر بهذه المعاني وكأنه ضمن الفوز على الأعداء وأراد أن يشر المحبوبة بذلك، فجاء تذكره للأحبة في مثل هذا الموقف تأكيداً لدور النساء في إذكاء نار الفروسية مما يستدعي الاعتناء بالسيف.

قال أبو تمام:

السيف أصدق إنباء من الكتب
بيض الصفائح لا سود الصحائف
والعلم في شهب الأرماع لامعة
فتح الفتوح تعالى أن يحيط به
أبقيت جد بني الإسلام في سعد
والملشركين ودار الشرك في صيب^(٣)

ومناسبة هذه القصيدة أن أهل التنجيم كانوا حكموا بأن الخليفة المعتمد لا يفتح عمورية، وراسلته الروم: إنا نجد في كتبنا أن مدينتنا هذه لا تفتح إلا في وقت إدراك التين والعنب، وبيننا وبين ذلك الوقت شهرٌ يمنعك من المقام فيها البرد والتلج، فأبى أن ينصرف، وأكب عليها حتى فتحها وأبطل ما قالوه؛ فلذلك قال الطائي تلك القصيدة.^(٣) والقصيدة تعد من عيون شعر أبي تمام، ولقد بدأها بالسيف عندما قال: السيف أصدق إنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب، وهو يعني أصدق بالفعل لا بالقول الذي تخبر عنه كتابات أهل الباطل من قادة الروم لتثييط المسلمين من مواصلة الجهاد في سبيل الله، ولذلك قال أبو تمام في حد السيف وشفرته وحدته، الحد الفاصل بين الحق والجد وبين الباطل واللعب، وكان هذا رداً على أهل الروم، ثم يواصل الشاعر القول عن السيف فيقول: بيض الصفائح أي الجنبات، لا سود الصحائف ويعني مكتوب الروم في صحيفتهم المشؤومة، ثم يصف مرة أخرى جنيات السيوف ويقول في متونها أي صفحاتهن إظهار الحق وبيان الشك والظن، ثم يقول والعلم في شهب الأرماع لامعة أي العلم بحقيقة الأمر من فتح عمورية موجود على أسنة الرماح التي هي كالشهب ولقد شبه الرماح اللامعة بالشهب المضيئة، ويعني بذلك فتح عمورية تحت وطأة السلاح الذي تعد الرماح جزءاً منه إلى جانب السيوف، وإن موقع تلك الأسلحة بين الخمسين من جيشي المسلمين والروم أي في يوم اللقاء ولبس في أمر التنجيم من الأنجم السبعة أو أقل منها أو أكثر، وهو يعني أن أمر المنجمين قد بطل وأن عمورية قد فتحت عنوة، وهي فتح الفتوحات وتاجها ولا يمكن أن تعبر عن هذا الفتح منظومات الشعر أو النثر، وهذا معنى واضح وجلي في أن السيوف أعظم في معاني النصر من مخطوطات الكتب وتآليف الأدباء وحوك الخطباء، فشتان بين النظرية والتطبيق، وهذا الأمر الجليل هو الذي فرق بين بني الإسلام وملتهم وبين الكفر والملشركين وزلتهم.

قال أبو الطيب المتنبي:

الخيال والليل والبيداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم
سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا
بأنني خير من تسعى به قدم
أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي
وأسمعت كلماتي من به صمم
إذا رأيت نيوب الليث بارزة
فلا تظنن أن الليث يبتسم^(٤)

جاء في نزهة الأبصار أن المتنبي عاد من بلاد فارس بعد أن مدح عضد الدولة بن بويه الدامي فأجزل جائزته، ولما رجع من عنده قاصداً بغداد ثم إلى الكوفة عرض له فاتك بن أبي

الجهل الاسدي في عدة من أصحابه، وكان مع المتنبّي أيضاً جماعة من أصحابه فقاتلهم فقتل المتنبّي وابنه محسد وغلّامه مفلح بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية، وذكر ابن رشيّق في كتابه العمدة في باب منافع الشعر ومضاره أن المتنبّي لما فر حين رأى الغلبة قال له غلامه: لا يتحدث عنك بالفرار وانت القائل: الخيلُ والليل والبيداء تعرفني والسيفُ والرمح والقرطاس والقلم، فكّر راجعاً حتى قتل، وكان سبب قتله هذا البيت.⁽⁵⁾

البيت الذي كان سبباً في مقتل المتنبّي تضمن كلمة السيف التي هل رمز الفروسية، فلما فر من ساحة الحرب وعظه غلامه وطلب منه الثبات من أجل السيف الذي افتخر به، قُتبت المتنبّي بعد أن كر راجعاً فقتل، فكان كمثّل من قتل نفسه بسيفه وسلاحه، ويعلم من هنا أن سيف الكلام أمضى من متن الحسام في مواقف الشعراء والأدباء.

قال بشار بن برد:

كأنّ مثار النّقع فوق رؤوسنا	وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه
أخلت به أمّ المنايا بنانها	بأسيافنا إنّنا ردّى منّ نحاربه
ركبنا له جَهراً لكل مثقّف	وأبيض تستسقي الدماء مضاربهُ
إذا الملك الجبّار صغر خدّه	مشينا إلّيه بالسُّيوفِ نعاتبه
إذا كنت في كل الأمور معاتباً	صديقك لم تلقَ الذي لا تعاتبهُ
عش واحداً أو صلّ أخاك فإنه	مقارن ذنب مرة ومُجانبه ⁽⁶⁾

ذكر الشاعر الأسياف في الأبيات الأربعة الأولى، واستخدم التشبيه في أول بيت لوصف المعركة التي يكون حسمها بالسيوف وكأن أداة تشبيه، ومُثار النقع إذا أثار الشيء وحركه، والنقع المراد به الغبار فوق الرؤوس، وهو مركب من هيئة منتزعة، وأسيافنا مفعولٌ معه، وليلٌ تهاوى كواكبه، تتساقط طائفة بعد طائفة، وإما كان الطرفان مركبين لأن المشبه هو الهيئة المنتزعة من السيوف المسلولة المقاتل بها، مع انعقاد الغبار فوق الرؤوس فالهيئة المنتزعة من النجوم وتساقطها بالليل إلى جهاتٍ متعددة، وهذا من تشبيه المركب بالمركب، ويكون كلّ من المشبه والمشبه به هيئةً حاصلةً من عدة أمور، المركب الحسي أو العقلي، الخيالي أو الوهمي.⁽⁷⁾

قال الشاعر:

هذا الشاعر استخدم السيف في الغزل بقوله دع عنك ذا السيف الذي جردته عينك أمضى من مضارب حده، ويعني أن عيني المتغزل بها لهما تأثير أقوى مما يفعله السيف بحده وضربه، ثم يقول كل السيوف قواطع إن جردت وحسام لحظك قاطع في غمده، المعني ما من سيف يسل إلا وكان قاطعاً، ولكن سيف لحظك أي نظراتك قاطعة وهي في أجفانها وإن لم تجرد وترى وترسل سهام النظرات، وهذا استعمال معنوي للسيف في الأمور الخاصة، ولقد رأينا السيف كيف يكون مظلة للجميع ويتعدى فعله للغير، إلا أن المعني الخاص للسيف لا يتعدى من قصد بذلك المعني إلى غيره، ويميل الشعراء لاستخدام السيف في معاني الهوى لإعجابهم به ولعلم الآخرين بسمو منزلته.

قال الشاعر:

ولا ناط بالخصر النَّجاد قرابا	ولو كان للأسياف عزمك، ما نبت
ولا طلبت غير الرؤوس جوابا	وما حملت غير السيوف رسالة
سيوفا على هام العداة غضابا	قد اخترطت أيدي الخلافة منكم
بمألكة تزجي الأسود غضابا	وما زلت ترضي الله في نصر دينه
لنا وإلى باب السَّعادة بابا ⁽⁹⁾	وكان إلى نيل السَّلامة سلَّما

الشاعر في هذه الأبيات استعمل السيف في المدح ويقول للممدوح لو كان للأسياف عزمك وشكيمتك ما تراجعته ولا خسرت، وهذا من أنواع التشبيه المقلوب صورة بصورة والذي جعل فيه الشاعر الممدوح مصدرا لإلهام السيوف معاني الشجاعة والإقدام وهذه صفة الأحياء ولا يمكن نسبتها للجماادات، وقصد الشاعر أن يجعل من الممدوح مقياسا تضاهى به عزيمة الأسياف وهي تقاتل الأعداء من على يد الممدوح فشبه صورة السيوف وهي تقاتل كالفارس وكأنها أسياف تسلط أسيافا على هام العدا، قاس تلك الصورة بحال الممدوح وهو يقاتل الأعداء بعزيمة الواثق من نفسه يعمل السيف الذي لا يني ولا تني معه عزيمة الممدوح، ومفاد التشبيه قياس صورة بصورة، وستكون الرسالة هي حمل سيف العدل ضد الأعداء، ويكون جواب صدق عمليا وهو طلب الرؤوس بتلك السيوف، ثم يقول أن خلافتكم استلقت أسيافها على رؤوس الأعداء التي تساقطت بغضبتكم، وكل ذلك إرضاء لله تعالى، من أجل إحلال السلام والأمن.

قال تَابُطُ شَرًّا:

وَقَدْ رَعَفْتُ مَنِي السُّيُوفِ الْبَوَاتِرُ	عَلَيْكَ جَدَاءٌ مِثْلُ يَوْمِكَ بِالْحَيَا
غَزِيرُ الْكُلَى أَوْ صَيَّبُ الْمَاءِ بَاكِرُ	عَلَى الشَّنْفَرِي سَارِي الْعِمَامِ فَرَائِحُ
عَطَفْتُ وَقَدْ مَسَّ الْقُلُوبَ الْحَنَاجِرُ	وَيَوْمُكَ يَوْمَ الْعَيْكَتَيْنِ وَعَظْفَةُ
لِشَوْكَتِكَ الْحُدَى ضَيِّنْ نَوَافِرُ	تُجِيلُ سِلَاحِ الْمَوْتِ فِيهِمْ كَأَنَّهُمْ
وَهَلْ يُلْقَيْنِ مَنْ غَيَّبْتَهُ الْمَقَابِرُ	وَإِنَّكَ لَوْ لَأَقْيَيْتَنِي بَعْدَ مَا تَرَى
الْجَدِيدُ وَشَدُّ خَطْوِهِ الْمُتَوَاتِرُ ⁽¹⁰⁾	فَلَا يَبْعَدُ الشَّنْفَرِي وَسِلَاحُهُ

هذا الشاعر الجاهلي تَابُطُ شَرَّا يرثي صاحبه ورفيق دربه الشنفرى، ويستعمل السيف بقوله: وقد رعفت مني السيوف البواتر أي سالت مني السوف القاطعة دما، وهو يعني أن موت الشنفرى أصابه إصابة بليغة جعلت الدم يتدفق منهن وكأنه ضرب بسيف بتار.

قال مسلم بن الوليد:

ويجعل الهام تيجان القنا الذبل	يكسو السيوف رؤوس الناكثين به
فهنَّ يتبعنه في كل مرتحل	قد عود الطير عادات وثقن بها
الضيوف شحوم الكوم والبزل	يقرى المنيّة أرواح الكماة كما يقرى

لله من هاشم في أرضه جبل
موف على مهج في يوم ذي
ينال بالرّفق ما يعيا الرّجال به
لا يرحل الناس إلا نحو حجرته
وأنت وابنك ركننا ذلك الجبل
رهج كأنّه أجل يسعى إلى أمل
كالموت مستعجلا يأتي على مهل
كالبيت يضحى إليه ملتقى السّبل⁽¹¹⁾

هذا مسلم بن الوليد وجود بأقوى شعره في المدح عندما قال: يكسو السيوف رؤوس الناكثين به ويجعل الهام تيجان الغنا الذبل، لقد جعل رؤوس الأعداء كساء وسريالا للسيوف ومعطفا، فهو يتبنى معنى عريضا بأن جعل تلك الرؤوس زينة للسيوف يختال بها عند ظهوره وقد عود الطير من النسور والجوارح من آكلة لحوم البشر عودها مواقف صادقة منه عند زحفه للقاء الأعداء، وقد ربّاه تربية ودربها تدريباً علي ذلك، فكانت الطير حليفاً له فكأنها عندما تحلق فوق جموع الأعداء ترجو طعامها من أجساد موتاهم في ذلك اليوم الذي يستضيف فيه الممدوح الموت ليكرمه ويقريه أرواح الفرسان من العدو، وبقية الأبيات واضحة في موضوع المدح.

قال الفرزدق:

ولا نحالف غير الله من أحد إلا
يختلف الناس ما لم نجتمع لهم
فيها الكواهل والأعناق تقدمها
أما الملوكة فإننا لا نلين لهم
السيوف إذا ما اغرورق النظر
ولا اختلاف إذا ما استجمعت مضر
فيها الرؤوس وفيها السمع والبصر
حتى يلين لضرس الماضح الحجر⁽¹²⁾

يقول الفرزدق أنهم لا يحالفون أحداً غير الله، ولكنهم من بعد الله يجعلون السيوف حليفاً لهم من أجل الحق في سبيل الله، لأن الناس يكونون في اختلاف إلا إذا تأمرت عليهم مضر لأن فيها القادة وإليها السمع والطاعة، فهم يثقون في أنفسهم ولا يخدعون للملوكة لأن ذلك من التجارب الصعبة فكيف لآكل يمزق حجراً ولا يلفظه فهم كالحجر الذي يعرض للآكل فيعكر صفوه ويغير نشوة الأكل عنده.

قال السموأل:

وأسيافنا في كلّ شرق ومغرب
تسيل على حدّ السيوف نفوسنا
يقترّب حب الموت آجالنا لنا
وما مات منّا سيّد حتف أنفه
بها من قراع الدارعين فلول
وليس على غير السيوف تسيل
وتكرهه آجالهم فتطول
ولا طلل منّا حيث كان قتيل⁽¹³⁾

يفخر الشاعر بأسيافهم الذي يمتد شرقاً وغرباً وقد تأثرت تلك الأسياف بضراب الأعداء من أصحاب الدروع من الفرسان حتى أصاب حدودها وشفارها التكسر والتثرم، ثم قال أن نفوسهم تسيل على حد السيوف واستخدم كلمة تسيل التي تستعمل للماء والأشياء السائلة استعملها للنفوس وزهوق الأرواح، وفي ذلك دلالة على شجاعتهم إذ أنهم يجودون بأرواحهم من فرط حبهم للموت من أجل الكرامة وسبيل ذلك تخرج أرواحهم بسهولة كما ينساب الماء، وذلك

على خلاف أعدائهم الذين يكرهون الموت مما يلي عليهم الابتعاد عن الاحتراب والاقتتال، ولذلك تطول آجالهم لجبنهم وخوفهم من الهلاك وفي هذا هجاء لهم، وهذا على خلاف شيمة الشاعر وقومه وسادتهم الذين لا يموتون إلا في حومة الحرب.

قال أبو الطيب المتنبي:

فلا تعجبا إن السيوف كثيرةٌ ولكنَّ سيفَ الدولة اليوم واحدٌ
ولما رأيتُ الناس دون محلِّه تيقنت أن الدهر للناس ناقدٌ
ومن شرف الإقدام أنَّك فيهم على القتل موموقٌ كأنَّك شاكِدٌ⁽¹⁴⁾
فالمتنبئ يمدح سيف الدولة بقوله لا تعجبا خليلي من كثرة السيوف فإن سيف الحق واحد، وفي إضافة لفظ السيوف إلى الدولة يكون المراد بالسيف القوة التي تحمي ظهر الخلافة، ولا شك أن الشاعر يمجّد خلافة سيف الدولة ويؤيده ويحشد له أصوات التأييد بين رعاياه، وهذا أمر يطلّع به الشعراء في ذلك الوقت، لأن الشاعر في ذلك الزمان يعد وكالة أنباء متحركة.

وقال دبعل بن علي الخزاعي:

ثبت الحلوم فإن سلت حفائظهم سلوا السيوف فأرادوا كل ذي عنت
أحببت قومي ولم أعدل بحبهم قالوا تعصبت جهل قول ذي بهت
دعني أصل رحمي إن كنت قاطعها لا بد للرحم الدنيا من الصلة
فاحفظ عشيرتك الأذنين إن لهم حقاً يفرق بين الزوج والمرة
قومي بنوا مذحج والأزد أخوتهم وآل كندة والأحياء من علة⁽¹⁵⁾
هذا دبعل الخزاعي يفخر بقومه وعشيرته ويصفهم بأنهم حلما مترفعين عن الصغائر ولكن إذا أثرت حفيظتهم وتعرضوا للاستفزاز وأراد الآخرون اللعب على عقولهم، جردوا السيوف ليمنعوا من أرادهم بالسوء، ثم ذكر الشاعر بعد ذلك أبناء العشيرة من القرابة والأرحام، وجعل السيف عاملا يربط بين هذه الصلات الطيبة في المجتمع الإنساني.

قال أشجع:

برقت سماؤك في العدو فأمطرت هاما لها ظلَّ السيوف غمام
وإذا سيوفك صافحت هام العدا طارت لهن على الرؤوس الهام
فاذا تنبه رعته وإذا غفا سلّت عليه سيوفك الأحلام
قصر عليه تحية وسلام نثرت عليه جمالها الأيام
فيه اجتلى الدنيا الخليفة والتقت للملك فيه سلامة ودوام
قصر سقوف المزن دون سقوفه فيه لأعلام الهدى أعلام
أدنتك من ظلّ النبي وصية وقرابة وشجت بها الأرحام⁽¹⁶⁾
قال الشاعر: برقت سماؤك في العدو فأمطرت هاما لها ظلَّ السيوف غمام، لقد استخدم الشاعر تصويرا بلاغيا جميلا، عندما قال فأمطرت هاما لأنه استعار الهام والرؤوس لماء المطر

فجعلها مكانه وهذه كناية عن كثرة تساقط رؤوس الأعداء، ومما هو معلوم من البلاغة العربية أن الكناية لا تسمى كناية إلا إذا كانت مجازاً فإن لم تكن مجازاً فهي حقيقة محلها في مباحث علم المعاني، ولذلك نجد الكناية في مباحث البيان باعتبارها من المجاز الذي يتعدى باستعارة اللفظ، ثم قال الشاعر لها ظل السيوف غمام، استعمل الشاعر ظل السيوف للغمام من المطر والسحب، وكأنها السيوف بكثرتها واجتماعها فوق رؤوس الأعداء شكلت ظلاً وسقفاً واقياً من الشمس وكأنها سحب متراكمة ومنتشرة فوق العدا وهذه كناية عن كثرة السيوف، ثم عاد الشاعر مرة ثالثة ليستخدم السيوف في الاستعارة عندما قال: وإذا سيوفك صافحت هام العدا، ومن المعلوم أن السيوف لا تصافح لأن المصافحة من شأن البشر ولذلك شبه الشاعر السيوف بالبشر والناس وحذف لفظ البشر وهو المشبه به وأشار إليه بلازمة من لوازمه وهي المصافحة وذلك على سبيل الاستعارة الممكنة لأنه ذكر المشبه، بقية الأبيات حافلة بالمعاني ولكن المعنى العام واضح والمراد منه المدح.

قال محمد بن جعفر:

أنعم صباحاً بالسيوف وبالقنا	إن السيوف تحيةً الفتيان
يا أيها الرجل الذي يمينه	غيث الزمان وصوله الحدّثان
قد أبطرتك سلامةً فنسيت ما	أسلفت من برٍ ومن إحسان
والدهرُ خدُنْ مسرةً ومضرةً	متقلبٌ بالناسِ ذو ألوان ⁽¹⁷⁾

أخبر الصولي عن عبيد الله السكوني قال دخل محمد بن جعفر بن محمد على بعض أمراء الكوفة وقد جرى عليه ظلم فلم ينصفه فخرج من عنده وقال يخاطب نفسه ويأمرها بمجاهرة السلطان بالعصيان إذ ليس عنده للظلم نكير فيكون ذلك سبباً للحرب فيحي بالسيوف فلا يفرغ فإنها تحيةً الفتيان، ولذلك بشر السلطان بالسيوف والقنا وهي عدة الحروب على أهل البطر والظلم، وجاء ذكر السيف هنا للتحريض على الانتصار للحق.

قال سويد بن كراع:

ونحن أناس لا حجاز بأرضنا	نلوذ به إلا السيوف القواطعُ
ولم يبق منا القتل إلا عصابة	تطاعن عن أحسابنا وتقارعُ
وأبيض لا يشتري بشيء أفاته	أسنّتنا والنقع أغبر ساطعُ
تركنا عليه قصدي سمهريّة	وجريان سيفٍ سلّه إذ مُناصعُ ⁽¹⁸⁾

يفخر الشاعر ويقول إن السيف هو ملاذنا إذا عز علينا الحجاز وأرضه، ولقد أفنى التقتيل بني جلدتنا وبقي منهم عصبة قليلة تطاعن وتضارب دفاعاً عن أعراضنا وأحسابنا، في ساحات الوغي وبين أيديهم الرماح والسيوف وعدة الحروب من السلاح، وذكر السيف للاعتداد بالنفس وحماية العرض.

قال كعب بن زهير بن أبي سلمى:

إن الرسول لسيف يستضاء به	مهتد من سيوف الله مسلول
في عصبة من قريش قال قائلهم	ببطن مكة لما أسلموا زولوا
زالوا فما زال أنكاس ولا كشف	عند اللقاء ولا ميل معازيل
شمّ العرانيين أبطال لبوسهم	من نسج داود في الهيجا سراويل

أنبت أن رسول الله أوعدي والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذي أعطاك نافلة ال قرآن فيها مواعيط وتفصيل
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم أذنب وإن كثرت في الأقاويل⁽¹⁹⁾

هذا شاعر الجاهلية يصف الرسول صلي الله عليه وسلم بأنه سيف من سيوف الله مسلول، ولا تعليق لنا فوق ذلك، فهذه الأبيات لوحة ناطقة لا تحتاج إلى تفسير، وهي ختام حديثنا عن السيف في الشعر العربي.

لقد جاء ذكر السيف في الشعر لأسباب كثيرة ومواضيع أدبية متعددة منها: الفخر والمدح والثناء والهجاء والغزل، وجاء ذكر السيف، للفروسية والشجاعة والإقدام والحلم، والتفريق بين الحق والباطل، ويكون السيف حرباً على صاحبه، وتأييداً للسلطان، ومعرضاً على نصرة الحق وصولاً للمظلوم، ولقد عبر الشعراء عن معاني السيف فاستخدموه في مباحث البيان من المجازات والاستعارات والتشبيهات والكنيات.

السيف في النثر:

لقد حفل النثر بذكر السيف لارتباطه الوثيق بالحياة الجادة للناس، وبما يكفله من توجيه المجتمعات البشرية وذلك بتحكمه في تشكيل أنواع الحياة وألوانها، وبما يضيفه إليها من طعم أو صفات، لامتلاكه رمزية الحكم، وتوسع معانيه الأدبية بين الكتاب والخطباء في الجاهلية والإسلام، ومن أمثال العرب ما يضرب للسيف كقولهم: ما يوم حليلة بسر، وكان هشام بن الكلبي يخبر أنها حليلة بنت الحارث بن أبي شمر، وكان حديثها أن أباهما وجه جيشاً إلى المنذر بن ماء السماء، فأخرجت لهم طيباً في مكن فطيتهم، وهي التي ذكر النابغة الذبياني في قوله: تخيرن من أزمان يوم حليلة إلى يوم قد جربن كل التجارب، فهو هنا يصف السيوف ويضرب يوم حليلة لكل أمر متعالم مشهور ومن ذلك السيف.⁽²⁰⁾

قام أبو بكر الصديق بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، فسلك سنته، وأخذ بسبيله، وأرتدت العرب، فلم يقبل منهم بعد رسول الله إلا الذي كان قابلاً منهم، فانتضى السيوف من أغمادها، وأوقد النيران من شعلها، ثم ركب بأهل الحق أهل الباطل، فلم يبرح يفصل أوصالهم، ويسقي الأرض دماءهم، حتى أدخلهم في الذي خرجوا عنه، وقررههم بالذي نفروا منه، ثم قام من بعده عمر بن الخطاب رحمه الله، فمصرّ الأمصار، وخلط الشدة باللين، فحسر عن ذراعيه، وشمر عن ساقيه، وأعدّ للأمور أقرانها، وللحرب آلتها⁽²¹⁾. فالسيف بعد وفاة الرسول أعمله الخليفة أبو بكر، ومن بعده الخليفة عمر، لتثبيت أركان الدولة وإحقاق الحق وإبطال الباطل ورفع راية الإسلام لنصرة الدين وإعمار الأرض.

لقد زعم كثير من الناس أن بعض السيوف من خبث نيران الصواعق، وذلك شائع على أفواه الأعراب والشعراء، ومتى كان البخار حاراً يابساً قدح وقذف بالنار التي تسمى الصاعقة، فإذا اجتمعت تلك القوى في موضع منه، فإن كانت القوى ريحاً كان لها صوت، وإن كانت ناراً كانت

لها صواعق⁽²²⁾. وهذا من معتقدات العرب في جاهليتها عندما خافت من المجهول قاسته إلى القوى المادية فأسمته سيفاً نظراً لقوله وتسلطه. وإذا كان السيف رمزاً للقوة والعزة والكرامة فإن من الأدباء قد أستخدمه في مواقف تنافي تلك المعاني، ومن ذلك ما ذكره صاحب الرسائل الأدبية عن الخصي بقوله: والخصي ليس برجل ولا امرأة، وأخلاقه مقسمة بين أخلاق النساء وأخلاق الصبيان، وفيه من العيوب التي لو كانت في حوراء كان حقيقاً أن يزهد فيها منه؛ لأن الخصي سريع التبذل والتنقل من حد البضاضة وملاسة الجلد، وصفاء اللون ورقته، وكثرة الماء وبريقه، إلى التكسر والجمود والكمود، والتقبض والتجمد والتحدب، وإلى الهزال وسوء الحال، لأنك ترى الخصي وكأن السيوف تلمع في وجهه، وكأنه امرأة صينية، وكأنه جمارة، وكأنه قضيب فضة قد مسه ذهب، وكأن في وجناته الورد⁽²³⁾. لقد شُبه وجه الخصي بالمرأة لأنه قال كأن وجهه امرأة صينية، لقد عمد الكاتب إلى جعل وجه الخصي مرآة على الرغم من ذكره المرأة الحقيقية وهي أقوى لمعانا وأشد قوة في عكس الصور، ومع ذلك استخدم السيف لحضوره معنوياً في أذهان الناس. وكانت السيوف محل الفخر والإعتزاز عند الكتاب والخطباء ففي رسائل الجاحظ: لنا الصبر تحت ظلال السيوف القصار والرماح الطوال، ولنا معانقة الأبطال عند تحطم القنا وانقطاع الصفائح، ولنا المواجهة بالسكاكين، وتلقى الخناجر بالعيون، ونحن حماة المستلحم، وأبناء المضائق، ونحن أهل الثبات عند الجولة، والمعرفة عند الحيرة، وأصحاب المشهرات، وزينة العساكر وحلى الجيوش، ومن يمشي في الرمح، ويختال بين الصفيين، ونحن أصحاب الفتك والإقدام، ولنا بعد التسلق، ونقب المدن، والتقمع على ظبات السيوف وأطراف الرماح، ورضخ الجنديل، وهشم العمدة، والصبر على الجراح وعلى جر السلاح⁽²⁴⁾. ويأتي ذكر السيف احتجاجاً على الظلم وإحقاقاً للعدل، ففي الرسائل السياسية: لو كان معاوية سيئ السيرة في أهل الشام سيئ النظر للعوام غير مصيب في سياسة الأجناد وفي ترتيب الأشراف وفي تقريب العلماء وفي رحمة المساكين ولم يكن عفيفاً عن المال، فقد كان شديداً على الفاسد قامعاً للظالم قويا في الحق سهل الحجاب معظماً للشريف منصفاً للضعيف بصيراً بالحزم عالماً بالحكم كثير الفتوح واسع الصدر ميمون النقية فاضل الحلم جمع المحبة والهيبة، لما لقوا معه بجباههم ظباة السيوف وبنحورهم أطراف الأسنة⁽²⁵⁾. ويأتي ذكر السيوف لبيان ثقافة الأمم جاء في كتاب الرسائل للجاحظ: وأما الهند فوجدناهم يقدمون في النجوم والحساب، ولهم السيوف القلعية، وهم ألعب الناس بها وأحذقهم ضرباً بها، ولهم الخط الهندي خاصة، ويقدمون في الطب، ولهم خطر التماثيل ونحت الصور بالأصباغ تتخذ في المحاريب وأشباه ذلك، ولهم الشطرنج، وهي أشرف لعبة وأكثرها تدبيراً وفطنة، ولهم الرقي النافذة في السموم وفي الأوجاع، ولهم غناء معجب، ولهم ضروب الرقص والخفة، ولهم الثقافة عند الثقاف خاصة، ولهم خط جامع لحروف اللغات، وخطوط أيضاً كثيرة، ولهم شعر كثير وخطب طوال، وطب في الفلسفة⁽²⁶⁾. ولقد ذكر السيف من بين الهدايا التي تقدم لرفيعي المنزلة ومن ذلك ما جاء في كتاب المحاسن والأضداد: كان الحكماء يهدون الحكمة، والشعراء الشعر، وأصحاب الجواهر الجوهر، وأصحاب الديباج نتائج الدواب، الفرس الفاره، والشهري النادر، والحمار المصري، والبغال الهماليج، والظرفاء، قرب الحرير

الصيني مملوءة ما ورد؛ والمقلقلة القسي والرماح والنشاب؛ ونصول السيوف والدروع والجواشن والبيض والأسنة؛ وكانت نسوة الملك تهدي إحداهن الجارية الناهدة، والوصيفة الرائعة، والأخرى الدرة النفيسة، والجوهرة المثمنة، وفص خاتم، وما لطف وخف؛ وأصحاب البر، الثوب المرتفع من الخز والوشى والديباج وغير ذلك، والصيافة نقر الذهب والفضة، وجامات الفضة مملوءة دنانير، وأوساط الناس دنانير ودراهم من ضرب سنتهم، مودعة أترجة أو سفرجلة أو تفاحة، والكاتب واقف يكتب كل مهدي⁽²⁷⁾ ولقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أم الجنة تحت ظلال السيوف، فقد جاء في عيون الأخبار، عن سالم أبي النضر مولى عمرو بن عبيد الله: أن النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أيامه التي لقي فيها العدو انتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس فقال: لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاثبتوا واصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال: اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم، وقال أبو النصر: وبلغنا أنه دعا في مثل ذلك فقال: «اللهم أنت ربنا وربهم وهم عبيدك ونحن عبيدك ونواصينا ونواصيهم بيدك فاهزمهم وانصرنا عليهم»⁽²⁸⁾.

خطب عبد الله بن الزبير حين قتل أخوه مصعب فقال: الحمد لله الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء، إنه لن يذل من كان الحق معه وإن كان فردا، ولن يعز من كان أولياء الشيطان حربه وإن كان معه الأنعام، أتانا خبر من قبل العراق أجزعنا وأفرحنا: قتل مصعب رحمه الله، إن يقتل فقد قتل أبوه وأخوه وعمه، فأما الذي أحزننا من ذلك فإن لفراق الحميم لذعة يجدها حميمه عند المصيبة به، ثم يرعوي بعدها ذوو الرأي إلى جميل الصبر وكريم العزاء، وأما الذي أفرحنا من ذلك فعلمنا أن قتله شهادة، وأن ذلك لنا وله الخيرة، ألا إن أهل العراق أهل الشقاق والنفاق باعوه بأقل ثمن كانوا يأخذونه به، إنا والله لا نموت حتفا ولكن قعصا بأطراف الرماح وموتا تحت ظلال السيوف، ليس كما تموت بنو مروان⁽²⁹⁾. ذكر الصحابي عبدالله بن الزبير أنهم لا يموتون إلا تحت ظلال السيوف، لأنهم يعلمون أن الجنة تحت ظلالها وهم طلاب شهادة.

جاء ذكر السيف في أقوال الحكماء، وكان الأحنف بن قيس يقول: لا تزال العرب عرباً ما لبست العمام، وتقلدت السيوف، ولم تعدد الحلم ذلاً، ولا التواهب فيما بينها ضعةً، وقالوا في تأويل قوله: «ما لبست العمام»، ما حافظت على زيها، وقوله: «وتقلدت السيوف» يريد الامتناع من الضيم، وقوله: «ولم تعدد الحلم ذلاً»، يقول: ما عرفت موضع الحلم، وقوله: «ولم تر التواهب بينها ضعةً» نحو من هذا، وهو أن يهب الرجل من حقه ما لا يستكره عليه⁽³⁰⁾.

ومن نوادر السيوف أن أبا دلامة دخل على أبي جعفر المنصور يوماً وعليه قلنسوة طويلة، وكان قد أخذ أصحابه بلباسها وأخذهم بلبس دراريع، عليها مكتوب بين كتفي الرجل: فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وأمرهم بتعليق السيوف على أوساطهم، فدخل عليه أبو دلامة في ذلك الزي، فقال له: كيف أصبحت أبا دلامة؟ قال: بشر حال يا أمير المؤمنين، قال: كيف ذلك؟ ويليك، قال: وما ظنك يا أمير المؤمنين بمن أصبح وجهه في وسطه، وسيفه على استه، وقد نبذ كتاب الله وراء ظهره؟ قال: فضحك أبو جعفر وأمر بتغيير ذلك، وأمر لأي دلامة بصلة⁽³¹⁾ وللنساء دور في

تقلد السيوف وتعبئة المجاهدين في سبيل الله، جاء في العقد الفريد: أن عكرشة بنت الأطرش بن رواحة دخلت على معاوية متوكة على عكاز لها، فسلمت عليه بالخلافة ثم جلست؛ فقال لها معاوية: الآن يا عكرشة صرت عندك أمير المؤمنين؟ قالت: نعم، إذ لا عليّ حيّ قال: ألسن المقلدة حمائل السيوف بصقن، وأنت واقفة بين الصّفين تقولين: أيها الناس، عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم إن الجنة لا يرحل عنها من أوطنها، ولا يهرم من سكنها، ولا يموت من دخلها؛ فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها، ولا تنصرم همومها، وكونوا قوما مستبصرين في دينهم مستظهرين بالصبر على طلب حقهم؛ إن معاوية دلف إليكم بعجم العرب غلف القلوب، لا يفقهون الإيمان ولا يدرون ما الحكمة؛ دعاهم بالدينيا فأجابوه، واستدعاهم إلى الباطل فلبّوه، قاله الله عباد الله في دين الله؛ إياكم والتواكل، فإن ذلك ينقض عرى الإسلام، ويطفئ نور الحق هذه بدر الصغرى، والعقبة الأخرى، يا معشر المهاجرين والأنصار، امضوا على بصيرتكم، واصبروا على عزيبتكم⁽³²⁾. فالمرأة التي يشبهها الشعراء بالسيف في رقتها وجمالها فإنها تتقلد السيف عند الطوارئ.

من معشر ظعنوا صبروا عند السيوف فلم ينكلوا عنها ولا جبنوا رثاء أخت النضر له قال ابن إسحق صاحب المغازي لما نزل رسول الله الصّفاء وقال ابن هشام الأثيل أمر على بن أبي طالب بضرب عنق النضر بن الحارث بن كعدة بن علقمة بن عبد مناف صبرا بين يدي الرسول فقلت أخته قتيلة بنت الحارث ترضيه: يا ركباً إن الأثيل مظنة من صبح خامسة وأنت موفق بلغ به ميتا فإن تحية ما إن تزال بها الركائب تخفق⁽³³⁾. فهذه قتيلة بنت النضر أخت الحارث بن النضر ترضي أخاها وتصور ثباته وهو مضروب بالسيف صبرا، فعندما سمع رسول الله صلي الله عليه وسلم بأبيات شعرها قال لو علمتها من قبل لما قتلته، قد صورت قتيلة قوة السيف وقوة أخيها التي تراها أكبر، ولكن أخلاق نبي الإسلام كانت أعظم من السيف ولأن النبي هو الذي أمر بإعمال السيف في رأس أخيها فأكرم به من نبي يقبل الشفاعة في المحكوم عليهم بالإعدام.

وللسيوف تفضيل وأوصاف عند المختصين وفي الحوار التالي يتبين ذلك كما جاء في أمالي الغالي: ما أحب السيوف إليك يا عمرو؟ قال: الصقيل الحسام، الباتر المجذام، الماضي السطام، المرهف الصمصام، الذي إذا هزرتك لك يكب، وإن ضربت به لم ينب، قال: ما تقول يا ربيعة؟ قال: نعم السيف نعت! وغيره أحب إليّ، قال: وما هو؟ قال: الحسام القاطع، ذو الرنق اللامع، الظمان الجائع، الذي إذا هزرتك هتك، وإذا ضربت به بت، قال: فما أبغض السيوف إليك يا عمرو؟ قال: الفطار الكهام، الذي إن ضرب به لم يقطع، وإن ذبح به لم ينزع، قال: فما تقول يا ربيعة؟ قال: والله ذكر! وغيره أبغض إليّ منه، بس السيف قال: وما هو؟ قال: الطبع الددان، المعضد المهان.⁽³⁴⁾

كان العرب في الجاهلية يسمون السيوف ويقلدونها الأصنام، فبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليا رضي الله عنه، فهدم الفلّس وأخذ السيوفين، فقدم بهما على النبي، وقيل أن الحارث كان قلهما مئة، وسيف حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه الليام، وفيه قتل يوم أحد، وقتل عثمان ابن أبي طلحة ومعه اللواء، قد ذاق عثمان يوم أحد مع الليام، فأودى

وَهُوَ مَذْمُومٌ، سيف عبد المطلب الَّذِي وَرَثُهُ عَنْ أَبِيهِ العطشان، وَفِيهِ يَقُولُ (من خانه سَيِّفُهُ فِي يَوْمٍ مَلْحَمَةٍ فَإِنْ عَطْشَانٌ لَمْ يَنْكَلْ وَلَمْ يَخُنْ) وسيف عبد الرَّحْمَنِ بن عتاب بن أسيد ولول وَفِيهِ يَقُولُ (أَنَا ابْنُ عَتَابٍ وَسَيْفِي وَلُولُ وَالْمَوْتُ دُونَ الْجَمَلِ الْمَجْلَلِ) وسيف هُبَيْرَةَ بن أبي وهب الْمُخَزُومِي الهذلول وَفِيهِ يَقُولُ (وَكَمْ مِنْ كَمِي قَدْ سَلَبْتَ سِلَاحَهُ وَغَادَرَهُ الْهَذْلُولُ يَكْبُو مَجْدَلًا) وسيف الْحَارِثِ بن هِشَامِ الْأَخِيرِشِ قَالَ فِيهِ (وَجَنِبْتَ خَيْلِي بِنَحْلٍ وَلَا وَنْتَ وَلَا مَلْتَ يَوْمَ الرُّوعِ وَقَعَ الْأَخِيرِشِ) وسيف عِكْرَمَةَ بن أبي جهل النزييف، قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ وَقَدْ قَتَلَ ابْنَ عَفْرَاءَ (وقبلهما أُرْدَى النزييف سَمِيدًا لَهُ فِي سَنَاءِ الْمُجْدِ بَيْتٌ مَنْقَبٌ).⁽³⁵⁾ وهذه أَمْثَالُ تَخْتَصُّ بِالسيف ودوره، الْعِزُّ تَحْتَ ظِلِّ السَّيْفِ، حصون الْعِزِّ بِالْخَيْلِ وَالسَّيْفِ، الْحَرْبُ سِجَالٌ وَعِزَاتُهَا لَا تَقَالُ، السَّلَاحُ ثَمٌّ الْكِفَاحِ، والمُحَاجَزَةُ قَبْلَ الْمُنَاجَزَةِ، الْهَرَبُ فِي وَقْتِهِ ظَفَرٌ، جِرَاحَاتُ السَّيْفِ لَهَا التَّامُّ وَلَا يَلْتَمِزُ مَا جَرَحَ اللَّسَانُ.⁽³⁶⁾ وللسيف تداعيات عند اللقاء كما جاء في سحر البلاغة: تلاقي الجيشان وبرقت الأبصار بشعاع السيف، وسفرت رسل الحتوف بين الصفوف، تراءى الجمعان، وأفضى قرب العيان، إلى قرب العنان، والتتهبت جمرة الضراب والطعان، اشتبكت الحرب تصرف نابها، وتكشف ساقها، وتضرم نارها، ويشد نطاقها، التقى الجمع بالجمع، وقرع النبع بالنبع، دنا العنان من العنان، وأفضى الخبر إلى العيان، سارت الجموع إلى الجموع، وبرق البصر بلمعان الدروع، وحمي وطيس المراس، ودنت التراس من التراس، دارت كأس الموت دهاقا، وعاد القرن للقرن عنقا، بلغت القلوب الحناجر، وشافهت السيوف المناحر، هاجت الهيجاء، وعز النجاء، وصار الترامي عنقا، والتلاقي اعتلاقا، صمتت الألسنة، ونطقت الألسنة.⁽³⁷⁾

لقد استعمل الكتاب والخطباء السيف في معاني متعددة ومواقف متفاوتة، فجعلوه للفخر والمدح والهجاء والرثاء والوصف، الإهداء والزينة، والاحتجاج، والظلم والجور، والعدل، والثقافة والحضارة، والهيبة، ويستعمل السيف في الأمثال والحكم والنوادر، والمعتقدات والعادات والتقاليد، والتشاؤم والتطير، والحماية.

الخاتمة:

للسيف تاريخ عريق في صناعة الأمجاد فهو شعار الإسلام ورمز العدالة والكرامة، وركن أصيل في التسليح، ورمزية السيف قاسم مشترك بين الأمم والمجتمعات البشرية، فالسيف راعيا لمصالح الإنسانية وداعما للأعراف البشرية، وحارسا لمقاصد الشريعة الإسلامية، وحملت النقول تلك الآثار ومعانيها، ونجد أن آداب السيف قد تعددت وجاء ذكرها في الشعر لأسباب كثيرة ومواضيع أدبية متعددة في الجاهلية والإسلام منها: الفخر والمدح والرثاء والهجاء والغزل، وجاء ذكر السيف، للفروسية والشجاعة والإقدام والحلم، والتفريق بين الحق والباطل، وتأييدا للسلطان، ومحرضا على نصرة الحق وصولا للمظلوم، وإخماد نار الفتنة، وكان السيف ناصرا لدين الإسلام معلما لرايته ومثبتا لأحكامه، كما كان السيف حربا على صاحبه، ولقد عبر الشعراء عن معاني السيف فاستخدموه في مباحث البيان من المجازات والاستعارات والتشبيهات والكنيات، ولقد استعمل الكتاب والخطباء السيف في معاني متعددة ومواقف متفاوتة، فجعلوه للفخر والمدح والهجاء والرثاء والوصف سواء

بسواء مع الشعر، وزادوا على ذلك الإهداء والزينة، والاحتجاج، والظلم والجور، والعدل، والثقافة والحضارة، والهبات، ويستعمل السيف في الأمثال والحكم والنوادر، والمعتقدات والعادات والتقاليد، والتشاؤم والتطير، والحماية، وما زال السيف يشكل ومزا للعدالة لدى بعض الدول فاتخذته شعارا لها في دواوينها الرسمية وجعلته رسما في علمها الوطني ليكون تعبيرا صادقا عن القوة والعدل، وظل السيف مستخدما من قديم الزمان وإلى يومنا هذا في إقامة حد القصاص قتلًا باعتباره أصوب طريقة لذلك.

النتائج:

1. السيف ركن التسلح، وشعار الإسلام، وعراقة الأمجاد، وأصالة العدالة، ورمز الكرامة.
2. للسيف دور مفصلي في حامية الشريعة ورعاية المجتمع وصون الأعراف والمصالح الإنسانية.
3. تعددت آداب السيف في الشعر والنثر وجاءت بمعاني الفخر والمجد والرثاء والهجاء والغزل.
4. استعمل الشعراء السيف في مباحث البيان من المجازات والاستعارات والتشبيهات والكنايات.
5. السيف عنوان الحضارة، ومضرب الأمثال والحكم والنوادر، ومظنة المعتقدات والعادات والتقاليد.
6. الأسيايف رمز الحرية والوطنية لبعض الدول، وأفضل آلة لإقامة حد القصاص قتلًا حتى الآن.

التوصيات:

1. الوقوف على آداب السيف لمعرفة دوره التاريخي في بناء الأمم.
2. اعتماد السيف في تنفيذ أحكام الإعدام إذ لا يشعر المقتول بالألم بعد قطع النخاع الشوكي.
3. تذكر قدرة الله في خلقة بين زمان الحرب بالسيف وبين الحرب بالتقنيات الحديثة في هذا العصر.

الهوامش:

- (1) الشيباني، شرح المعلقات التسع، مؤسسة الاعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ، ص253
- (2) محمد الحسن أبو المعالي، التذكرة الحمدونية، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ، ج4 ص142
- (3) أبو القاسم الأمدي، الموازنة بين أبي تمام والبحري، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، 1994م، ص 59.
- (4) نفح الأزهار في منتخبات الأشعار، شكر بن مغامس بن محفوظ، المطبعة الأدبية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1886م، ص75
- (5) عبد الرحمن بن عبد الله درهم، نزهة الأبصار بطرائف الأشعار والأخبار، دار العباد، بيروت، ص31
- (6) عبد الرحيم بن عبد الرحمن أحمد، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عالم الكتب، بيروت، ج2 ص29
- (7) أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي، شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، موقع الشيخ الحازمي، ج3 ص34
- (8) نفح الأزهار، مرجع سابق، ص 23
- (9) علي بن الحسن بن علي البخارزي، دمية القصر وعصرة أهل العصر، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ، ج1 ص245
- (10) حبيب بن أوس الطائي، الوحشيات الحماسة الصغرى، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ص131
- (11) عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ، ج2 ص824
- (12) اليزيدي، أمالي اليزيدي، مطبعة جمعية دائرة المعارف، حيدر آباد الدكن، الهند، الطبعة الأولى، 1397هـ، 1938م، ص57
- (13) أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1404هـ، ج1 ص209
- (14) علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ص109
- (15) محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة 1417هـ، 1997م، ج2 ص8
- (16) محمد بن يحيى الصولي، الأوراق قسم الأخبار، شركة أمل، القاهرة، 1425هـ، ج1 ص112
- (17) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، دار الجيل، بيروت، ج2 ص66

- (18) الحسين بن علي بن الحسين، أدب الخواص، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، 1400هـ - 1980م، ص100
- (19) محمد بن الحسن بن محمد أبو المعالي، التذكرة الحمدونية، دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، 1417هـ، ج4 ص12
- (20) أبو عبيد القاسم بن سلام، الأمثال، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، 1400هـ - 1980م، ص92
- (21) عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423هـ، ج2 ص81
- (22) عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1424هـ - ج5 ص47
- (23) عمرو بن بحر الجاحظ، الرسائل الأدبية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الثانية، 1423هـ، ص184
- (24) الرسائل للجاحظ، مرجع سابق، ج1 ص26
- (25) عمرو بن بحر الجاحظ، الرسائل السياسية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ص384
- (26) الرسائل للجاحظ، مرجع سابق، ج1 ص223
- (27) عمرو بن بحر الجاحظ، المحاسن والاضاد، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423هـ، ص320
- (28) عبد الله بن مسلم بت قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ، ج1 ص204
- (29) عيون الأخبار، مرجع سابق، ج2 ص62
- (30) محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1417هـ، 1997م، ج1 ص145
- (31) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1404هـ، ج1 ص222
- (32) العقد الفريد، مرجع سابق، ج1 ص351
- (33) ابن عبد ربه الأندلسي، طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار، مكتبة القرآن، القاهرة، ص306
- (34) أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم، الأمالي، دار الكتب المصرية، الطبعة: الثانية، 1344هـ - 1926م، ج1 ص154
- (35) منصور بن حسن الرازي، نثر الدر في المحاضرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1424هـ - 2004م، ج6 ص285

- (36) عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، خاص الخاص، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ص81
- (37) عبد الملك بن محمد الثعالبي، سحر البلاغة وسر البراعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص162